الفطرة بمثابة دال ديني
أو الدين من منظار الفطرة

الشيخ علي أكبر رشاد*

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١).

تهدف هذه المقالة إلى طرح مسألة حجّية الفطرة المتعالية ودورها في عملية فهم وإدراك التعاليم الدينية وإمكان الاستفادة منها في تقييم المعرفة الدينية. ولاشك في أن تبيين هذا المدّعى وإثباته يتوقف على تحقيق دقيق وعميق للمحاور التالية:

دراسة استعمالات كلمة «الفطرة» و«الفطري» في العلوم والآراء:

١- الفطرة في الفلسفة (أفلاطون، ديكارت، كانط و...).

٢- الفطرة في المنطق.

٣- الفطرة في الإلهيات (الكلام، التفسير، و...).

٤- الفطرة في العرفان.

٥- الفطرة في علم النفس.

٦- الفطرة في الفقه والقواعد الفقهية.

٧- الفطرة في النصوص الدينية الإسلامية.

المعنى المختار:

ماهية ومراتب الفطرة بالمعنى الأعم:

١- ماهية الفطرة.

* باحث في الفكر الديني، مؤسس ورئيس مركز أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي، طهران.

٢- خصائص الفطرة

٣- أنواع الفطرة (الجمادية، الحيوانية والإنسانية/الملكية والملكوتية).

٤- مراتب الفطريات (تطور وتكامل الفطريات).

٥- السعة الإدراكية والتحريكية للفطرة.

٦- العلاقة بين الفطرة وكل من:

- العقل

- الشهود العرفاني

- التجربة المعنوية

- الوراثة

- العرف، العادة و...

٧- أساليب إحراز الفطريات وتمييز الفطرة عمّا عداها.

تساؤلات وإشكالات البحث حول ماهية الفطرة ومراتبها (وهي الإشكاليات والشبهات المحتملة التي يمكن طرحها في مجال ماهية ومراتب الفطرة ولابدّ من الإجابة عنها).

التعرف على مناهج وأدلة إثبات وجود الفطرة عند الإنسان:

١- المنهج النقلي:

- الآيات القرآنية

- السنّة القولية

- السنة الفعلية

٢- المنهج العقلي:

- الأدلة

٣- المنهج العلمي

٤- منهج الوجدان

٥- سائر المناهج والأدلة

تساؤلات وإشكالات حول فطرة الإنسان (الإشكالات والشبهات المحتملة)

مناهج إثبات فطرية الدين:

١- المنهج والأدلة النقلية

٢- المنهج والأدلة العقلية

٣- المنهج والأدلة التجريبية

سائر المناهج:

تساؤلات وإشكالات فطرية الدين (الإشكالات والشبهات المحتملة)

مباني وأدلة حجّية الفطرة في البحث الديني

١- تحديد القيمة المعرفية والدلالية للفطرة (بلحاظ العقل والنقل)

٢- مباني حجّية الفطرة في البحث الديني

٣- الأدلة العقلية لحجّية الفطرة

٤- الأدلة النقلية لحجّية الفطرة

٥- سائر الأدلة

تساؤلات وإشكاليات الحجية (الإشكاليات والشبهات المحتملة)

التعرّف على منهج الاستفادة من الفطرة في البحث الديني

١- التوظيفات المعرفية للفطرة في فهم الدين

٢- أسلوب (أو أساليب) الاستفادة من الفطرة في البحث الديني

٣- قواعد الاستفادة من الفطرة في البحث الديني

٤- شروط وظروف تأثير الفطرة في البحث الديني

٥- موانع ومعيقات المنهج الفطري في البحث الديني

٦- مقايسة الدليل الفطري بسائر الأدلة الدينية

تساؤلات وإشكالات الاستفادة من الفطرة في البحث الديني

تنبيه: التوظيفات غير المعرفية للفطرة (نتائج الفطرة في دائرة تفهيم وتحقق الدين).

إنَّ التعرّض التفصيلي للمباحث المذكورة يحتاج إلى مجال أوسع من حدود مقالة واحدة، والآن وبحسب ما يقتضيه المدّعى الأساسي لهذه الورقة أي: إمكان الاستفادة المعرفية من الفطرة في مجال البحث الديني، نتعرّض باختصار إلى شرح «ماهية الفطرة ومراتبها»، «الفوارق بينها وبين العقل»، «أدلة فطرية الإنسان والدين»، بالإضافة إلى عرض قائمة بالنتائج الفرضية للفطرة في مختلف النواحي الدينية؛ وننهي المقالة إن شاء الله ببيان إجمالي لنظرية حجّية الفطرة المتعالية في البحث الديني[٢].

تعريف الفطرة:

الفطرة بالمعنى الأعمّ عبارة عن الطبيعة الأزلية والحالة الأصلية لوجود الإنسان التي تكون منشأ لبعض الإدراكات والأحاسيس، المعارف والميول العليا لديه.

ويستفاد من الآية الثلاثين من السورة الثلاثين، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

١- أنَّ الدين فطريٌ وحقيقي وليس اكتسابياً واعتبارياً.

٢- أنَّ الإنسان مفطور.

٣- أنَّ طبيعة البشر قدسية وإلهية.

٤- أنَّ ذوات جميع الناس مفطورة من الطبيعة القدسية.

٥- أنَّ الخلق والفطرة الإلهية لا تقبل التغيير.

٦- أنَّ الدين الحقّ القيم هو الدين المتوافق مع الفطرة.

٧- أنَّ أكثر الناس بالنسبة إلى الفطرة والديانة جاهلون.

إذن فالديانة الإلهية والفطرة البشرية هما معاً عامّان وأوسع من حدود القومية والعرق، دائمان وأبعد من التاريخ.

الفطرة تنقسم بتقسيم كلّي عام إلى: عامّة وخاصة، ملكية وملكوتية، معرفية ومعيشية، وما يكون منشأً للمعارف والميول العليا هو الفطرة الخاصة والملكوتية.

تفاوت وتمايز العقل والفطرة

يتصوَّر البعض أنَّ العقل والفطرة حقيقة واحدة وبالتالي أنهما حجّة واحدة، وسبب هذا التصوّر هو الخلط ما بين الفطرة بحسب المعنى القرآني والنظريات الفلسفية والمنطقية وأمثالها. ولكننا نرى أنَّ العقل والفطرة حقيقتان ودليلان مستقلان أحدهما عن الآخر، ويتمايزان من جهات عدّة، من جملتها: من ناحية التحليل المفهومي لكلمتي العقل والفطرة؛ ومن جهة ماهية ومراتب وأقسام كلٍ منهما؛ ومن جهة منهج إحراز وإثبات وجودهما؛ ومن حيث مباني وأدلة حجيّتهما في البحث الديني؛ وأيضاً من حيث النتائج المعرفية والدلالية لكلٍ منهما وسعة الآثار؛ ومن جهة قواعد وضوابط استعمالهما في الفهم الديني، ومن لحاظ موانع إعمالهما وتأثيرهما في دائرة البحث الديني؛ وأيضاً من ناحية مناهج وقواعد تحديد إشكالات المعرفة العقلية والمعرفية الفطرية.

ويمكن بيان استقلال وتمايز العقل والفطرة عبر الأساليب التالية:

أ- التحليل اللغوي واللفظي لكلمتي العقل مع دراسة مادة وهيئة كلٍ من الكلمتين (المنهج المعرفي المفاهيمي).

ب- دراسة طريقة استعمال كلتا المقولتين في النصوص المقدّسة (المنهج الداخلي الديني والنقلي).

ج- المطالعة التطبيقية لمختصّات وعمل خصائص كلٍ منهما (المنهج النظري والعملي).

ونشير الآن باختصار إلى جملة من الفوارق بينهما (ونوكل التفصيل إلى فرصة أخرى):

١- إنَّ كلمتي العقل والفطرة كلمتان عربيتان؛ لذا لابدّ من تحليلهما تحليلاً لغوياً وأدبياً من ناحية التركيب والمعنى، وعلى هذا نقول: إنَّ كلمة الفطرة من حيث مادتها (ف ط ر) ومن حيث هيئتها (وكونها على وزن فِعلة) تدل على نوع خاص من الخلقة.

إنَّ مادة «فطر» في اللغة تعني الخلق غير الاقتباسي والإبداع والابتداع[٤]، لا مطلق الخلق، كما أنَّ وزن «فعلة» يدل على شكل خاص من الفعل، فعندما يقال: «جلست جلسة» يدل ذلك على نحو خاص من الجلوس، إذن فهيئة كلمة «فطرة» أيضاً تدل على نوع خاص من الخلق، وتحكي عن الخلق الخاص للإنسان ونحو وجوده (لا قوته أو مرتبته في الوجود أو النفس البشرية).

وأمّا مادة العقل، فتدل على المنع، الحض، الحبس، وتدل أيضاً على التمييز والفهم. وكلمة العقل مصدر ولكنها تستعمل أيضاً بمعنى اسم الفاعل (عاقل) وبمعنى اسم المفعول (معقول)[٥].

إنَّ الفطرة (بالمعنى المقصود في البحث) ليس لها أي معادل ومرادف تام ودقيق، وأيضاً ليس لها أي ضد أو مقابل في اللغة العربية أو اللغات الأخرى، بينما نجد أن للعقل عدّة مرادفات مثل «النهي»، «الحجر»، «الفهم»، وأيضاً له عدّد أضداد مثل «الجهل»، «الحمق»، «الشهوة».

إذن كما تلاحظون ليس هناك أي ترادف وتشابه بين الفطرة والعقل من الناحية اللغوية.

٢- لم نجد في لسان الوحي والسنّة أي شاهد يدل على وحدة العقل والفطرة، وما جاء فيهما تصريحاً أو تلويحاً في شأن هاتين المقولتين ظاهرٌ في تعددهما.

٣- جُعل التحلي بالعقل في الأحاديث وجهاً مشتركاً بين الإنسان والملائكة[٦]، بينما جرى التأكيد والتصريح في النصوص المقدّسة على تطابق الإسلام مع الفطرة البشرية كما في الآية الثلاثين من سورة الروم، وكون الفطرة توأماً مع الجنس البشري: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[٧]، أمّا التزام الملائكة بالواجبات والمحرّمات الشرعية فهو أمرٍ غير ممكن وغير مطلوب، طالما أنّ إلزام الملائكة باتّباع شريعة هو من ناحية إلزامٌ بما لا يطاق ومن ناحية أخرى لغو. فاختصاص الإنسان بالفطرة والإسلام وعدم قدرة الملك وانسجام التزامه مع الشريعة برغم اشتراك البشر ولذلك في العقل يدلّ بوضوح على إثنينية العقل والفطرة.

٤- إنَّ الفطرة من صنع الله، وهي عبارة عن نحو وجود الإنسان، وهي تعادل كل وجوه ووجود الإنسان في عالم الملكوت (الروم: ٣٠)؛ أمّا العقل فإنه جزء من وجود الإنسان أو أنّه أعلى منزلة وموهبة معطاة له (لا أنه مساوٍ لتمام وجوده): «**قيمة كل امرئ عقله**»[٨] و«**أغنى الغنى العقل**»[٩]؛ ومن الحديث المعروف «**جنود العقل والجهل**» ونظائره يستفاد أيضاً اختلاف العقل مع وجود الإنسان.

٥- وقد أشير أيضاً إلى الاثنينية ما بين العقل والفطرة في الكلام المعروف لأمير المؤمنين: «**فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول**».

٦- هناك اختلافات كثيرة ما بين الفطرة والعقل من ناحية الماهية والمؤدّى، فالعقلانية والحكمة من الشؤون الفطرية للإنسان، ومدركات العقل هي من نوع الإدراك المفهومي بينما مدرك الفطرة أمرٌ غير مفهومي، وليس مقتضى العقلانية إدراك جميع المدركات الفطرية مثل الجمال، كما أن الفطرة لا تحتاج بالضرورة إلى برهنة؛ لذا نجد أنَّ إثبات الفطريات لا يحتاج في نفسه إلى إقامة برهان.

٧- إنّ للفطرة مضافاً إلى المؤدى المعرفي (كما العقل) مؤدّى ونتاج إحساسي وميلي، وهذا شيء غير نتيجة محركية العقل في نطاق الحكمة العملية؛ إنَّ دور العقل في الحكمة العملية هو المحركيّة المدروسة، بينما الفطرة (في هذا النطاق) تكون منشأ للميل والشوق الباطني، والإنسان بحسب بنائه الروحي الخاص يكون منجذباً ومريداً لله سبحانه، فمنشأ إرادة الجمال ليس حسابات نفعية، وانجذاب الطفل نحو أمه شيء مودع في وجوده ويظهر عنده بشكل لا إرادي ومن دون أي تفكير[١٠]. إنَّ محل المعرفة الفطرية هو القلب بينما محل المعرفة العقلية هو الذهن.

٨- والأمر الآخر الذي يدل على اختلاف العقل والفطرة، هو أنَّ بعض أدلة إحراز وإثبات الفطرة لا تتناسب أبداً مع إثبات العقل، فمثلاً يمكن إحراز وإثبات الفطرة بدليل «عموم أحكام العالم»، ودليل «إمكان العلوم الإنسانية» ودليل «معرفة الإنسان»، وبعض من الأدلة الأخرى. أمّا العقل، فلا يمكن إحرازه أبداً بمثل هذه الأدلة.

أدلة فطرية الإنسان والدين

إن كون الإنسان مفطوراً وذا فطرة وكون الدين فطرياً يمكن إثباتهما بالأدلة النقلية والعقلية والتجريبية على اختلاف أنواعها ونشير كنموذج إلى عدد منها في ما يأتي:

١- يدل ظاهر آيات بل صريح عدة منها على الأمرين المشار إليهما أعلاه ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى طوائف:

- الآيات التي تعد النبي والقرآن والدين تذكرة مثل:
- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(١١).
- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾(١٢).
- ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾(١٣).

٢- الآيات التي تشير إلى نسيان الإنسان للعهد الإلهي:

- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾(١٤).
- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهم﴾(١٥).

٣- الآيات التي تشير إلى العهد والميثاق المعقود بين الله والإنسان:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(١٦).

٤- الآيات التي تدل على فطرية الدين على مستوى التوحيد الربوبي وأصل الدين وكون تكاليفه منسجمة مع الفطرة:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(١٧).

٥- الآيات التي تخبر عن التجاء الإنسان إلى ربه عند الأزمات والمصائب:

- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.(١٨)

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.(١٩)

ومن هذه الطائفة الآيات التي تخبر عن توجه الإنسان إلى الله في حالات الخشية وقبل وقوع البلاء(٢٠) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.(٢١)

٦- الآيات التي تثبت الألوهية عن طريق الحب وتخبر أن الدين لا يمكن أن يجذب الإنسان ويشده إليه ما لم تكن أحكامه محققة لنوازع الإنسان الباطنية.(٢٢)

- ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.(٢٣)

- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.(٢٤)

هذا ويمكن الاستشهاد في هذا المجال بآيات أخرى هي:

(البقرة: ١٣٠-١٣٩) و(الأنعام ١٤٠ و ٧٨ و٧٩) وإبراهيم (١٠)، و (الأحزاب: ٢٧) و(يس: ٦٠)، و(الذاريات: ٢٠ و ٢١).

٢- الروايات الدالة على هذين الأمرين وهي كثيرة لا مجال لإحصائها واستقصائها ونكتفي بالإشارة إلى نماذج منها.

١- الحديث المعروف المشهور في كتب الحديث عند الشيعة والسنة وهو قوله(ص): **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**(٢٥).

٢- كلام أمير الفصاحة والبلاغة علي(ع) الذي أوردناه سابقاً وهو يدل على المدعى بصراحة حيث يقول(ع): **«فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول»**.

٣- توجد في هذا المجال مجموعة من الروايات التي ذكرها الصدوق في كتاب التوحيد ص ٢٢٨-٢٣٠، تحت عنوان: فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد، وكذلك فعل المجلسي في البحار ج٣، وج٥، والحويزي في تفسير نور الثقلين، ج٢، ص ٩٦، وج٤، ص١٨٦.

٣- الإرجاع إلى الوجدان:

بالعودة إلى الداخل والباطن يجد كل إنسان أن هناك مجموعة من الحقائق تسمو على التجربة وتستعصي على البرهان وأسبق منهما ومن ذلك: الإحساس بالوجود بوجه عام، العلم بوجود الذات، والتمييز بين: الكمال والنقص، والخير والشر، والحسن والقبح، والعدل والظلم، والجمال والبشاعة، الإيمان باستحالة اجتماع النقيضين واستحالة ارتفاعهما، الكل أكبر من الجزء، وترجيح المعاني الإيجابية على المعاني السلبية المتقدمة. وكذلك الإيمان بضرورة السعي للحفاظ على الذات وكشف الحقيقة واكتساب القدرة وتحقق الفضائل.

وعندما يتأمل المرء في هذه الأمور والقضايا يجد أنها ليست فردية وشخصية بل إن سائر الأفراد يشاركونه في الإيمان بهذه القضايا.

٤- الاعتقادات والدوافع البشرية الاجتماعية:

أ- إن وجود الإجماعات الإنسانية كظاهرة لا شك ناشئ من علة.

ب- منشأ هذه الإجماعات إما داخلي و ذاتي، أو خارجي وعارض (وهذا الحصر عقلي ولا وجود لاحتمال ثالث).

ج- لا مجال لقبول فرضية العامل الخارجي لنشوء هذه الإجماعات وذلك لتنوعه وعدم شموليته وعدم ثباته، وعليه فلا بد من أن يكون منشأ هذه الإجماعات داخلياً من ذاتيات الإنسان.

٥- الأحكام العامة الشاملة

أ- إذا كان الإنسان فاقداً للذات والذاتيات المشتركة تغدو الأحكام العامة والشاملة غير معقولة.

ب- ومن الواضح المسلّم وجود أحكام عامة شاملة تنطبق وتحكم حياة الإنسان والعلاقة ما بين الأفراد. إذن الإنسان يملك ذاتاً وذاتيات مشتركة.

٦- الاستفادة من فلسفة العلم (إمكان العلوم الإنسانية):

إن إنكار ذاتية الإنسان وذاتياته المشتركة يؤدي إلى زلزلة أسس العلوم الإنسانية؛

وذلك لأن إنكار الذاتيات المشتركة بين أفراد الإنسان يمنع من إطلاق أي حكم أو قاعدة عامة حول الإنسان والمجتمعات الإنسانية.

٧- الاستدلال بنتائج الأبحاث التجريبية:

لقد أثبتت الأبحاث التجريبية في علم النفس وعلم الاجتماعي والإنثربولوجيا حول أفراد الإنسان والمجتمعات الإنسانية وجود مجموعة من المرتكزات الفطرية عند الإنسان. ورغم أن الباحثين في هذه العلوم لم يكونوا بالضرورة بصدد إثبات ذلك إلا أنهم أدوا هذه الرسالة بشكل جيد.

٨- الاستدلال بالنظرية الإسلامية الإنثروبولوجية:

بنيت الإنثربولوجيا الإسلامية على تصور محدد للإنسان؛ بحيث يؤدي نفي الفطرة إلى نسف الأسس التي بنيت عليها النظرية الإسلامية الإنثربولوجية التي دلت عليها عشرات الآيات والروايات.

٩- من لوازم الحكمة والعدالة بل ومقتضى الرحمة الإلهية فطرية التعاليم الدينية:

أ- الإنسان ذو طبيعة وخصال ذاتية مشخصة.

ب- في حال عدم تطابق التشريعات الدينية (بمعناها العام الذي يشمل التعاليم النظرية العقدية) مع طبيعة الإنسان التكوينية سوف يتحول الالتزام بالدين إلى أمر صعب بل مستحيل وهذا لا ينسجم مع العدل ولا الرحمة ولا الحكمة الإلهية؛ إذن لابد من كون تعاليم الدين فطرية.

١٠- الاستدلال بشمولية وعالمية الدعوة الإسلامية:

١- تدل الآيات المذكورة أدناه على عالمية الدعوة الإسلامية وشمولها لكل زمان ومكان وهذه الآيات هي:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾(٢٦).

﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(٢٧).

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾(٢٨).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢٩).

٢- لا تنسجم هذه الآيات الصريحة والواضحة في الدلالة على شمول دعوة الإسلام مع اختصاص الدين بعصر دون غيره ومصر دون غيره.

١١- برهان التضايف:

أ- يتحقق في باطن الإنسان وأعماق وجدانه رجاء بمبدأ هذا الوجود وهو الله تعالى على الأقل في بعض الحالات والظروف.

ب- الله تعالى مرجو بالفعل (وقد ثبت وجود الله بطرق أخرى).

ج- المتضايفان متكافئان في القوة والفعل والوجود والعدم إذن الرجاء (وبطريق أولى منشأه) موجود بالفعل أيضاً.

وأكتفي من أدلة فطرية الدين بهذا المقدار، وقد تقدم أن هذه المقالة بصدد إثبات أن الفطرة تعد الدليل الخامس الموصل إلى الدين ومن لوازم هذا الأمر، بنظري، أداء الفطرة لأدوار متنوعة في مجال فهم الدين.

وسوف أذكر قائمة بأهم الأدوار، ويمكن تقسيم أدوار الفطرة في مجال الدين إلى قسمين: عام وخاص. الأدوار الخاصة أيضاً يمكن تقسيمها إلى أقسام تبعاً للساحات الخمسة للمعرفة الدينية (النظرة الكونية، الأفعال، الأخلاق العلم، والتربية الدينية).

أ- الأدوار العامة

١- تأثير الفطرة في النزوع الديني عند الإنسان.
٢- القبول بإمكان فهم الدين.
٣- المساعدة في تأسيس منطق فهم الدين.
٤- المساهمة في التقنين ووضع الضوابط لتحصيل المعرفة الدينية.
٥- المساهمة في التمييز بين صحيح المعرفة الدينية وسقيمها.

ب- الأدوار الخاصة:

١- في ساحة الرؤية الكونية والعقائد:

١-١- إدراك أصول وأمهات العقائد.

١-٢- المساعدة في فهم بعض المقولات الدينية.

٢- في ساحة الفعال (الحقوق والتكاليف):

٢-١- التأسيس للدوافع المشتركة لبعض الواجبات والمحرمات الدينية.

٣- في ساحة الأخلاق والقيم:

٣-١- إدراك الحسن والقبح الذاتيين.

٣-٢- التسبب بوجود الدوافع والموانع المشتركة تجاه بعض الأفعال الحسنة والقبيحة.

٤- في ساحة التربية:

٤-١- المساعدة في التأسيس النظري لشواخص التربية الدينية.

٤-٢- الخلاقية في مجال تحديد منهج التربية الدينية.

٥- في ساحة العلم والمعرفة العلمية:

٥-١- تأسيس مباني العلوم الإنسانية.

٥-٢- تقييم بعض مدعيات ومقولات العلوم الإنسانية التي تكون على تماس مع الفطرة والدين.

الهوامش

(١) سورة فصّلت: الآية ٤١.

(٢) يمكن لمن يرغب ملاحظة التفصيل نسبياً للبحث في الطبعة الثانية لـ«فلسفة في دين».

(٣) سورة طه ٢٠: ٥٠؛ الشمس ٩١: ٧ و ٨.

(٤) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ص ٧٤٧، مادة فطر؛ ابن الأثير، النهاية، ج٣، ص ٤٥٧؛ وأيضاً ابن منظور، لسان العرب، مادة فطر؛ والراغب الأصفهاني، المفردات، مادة فطر.

(٦) ابن الأثير، النهاية، ج٣.

(٧) علل الشرائع، ص ٤؛ مشكاة الأنوار ص ٢٥٠؛ البحار ج٦، ص ٢٩٩).

(٨) المجلسي، البحار، ج٣، ص ٢٨١.

(٩) غرر الحكم، ج٤٤، ص ٥٠٤، ح٦٧٦٣.

(١٠) نهج البلاغة، ح٣٨.

(١١) المجلسي، البحار، ج٤، ص ٢٨١.

(١٢) قال الإمام الصادق(ع): ليس العلم بالتعليم؛ إنّما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه فإن أردت فاطلب أولاً من نفسك حقيقة العبودية(بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٠).

(١٣) روش رئاليسم (المذهب الواقعي)، ج٥، ص ٧٣.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(١٥) سورة الغاشية: الآية ٨٨-٢٢-٢١.

(١٦) سورة المدّثر: الآية ٧٤: ٤٩.

(١٧) سورة الذاريات: الآية ٥٠-٥١.

(١٨) سورة الحشر: الآية ٥٩: ١٩,١.

(١٩) سورة التوبة: ٩: ٦٧.

(٢٠) سورة الأعراف: ٧: ١٧٧٣-١٧٢.

(٢١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢٢) سورة النحل: الآية ٥٣.

(٢٣) سورة الأنعام: الآية ٤٠-٤١.

(٢٤) ونظراً للاختلاف بين هذه الآية وآيات الطائفة الخامسة عدهما طائفتين والفارق برأيه هو أن آيات الطائفة الخامسة تتحدث عن اللجوء إلى الله عند البلاء وهذه تتحدث عن اللجوء عند خشية الخطر في خصوص حالات السفر (الفطرة في القرآن) ولا أجد أن هذا الفارق كافياً لجعلهما طائفتين.

(٢٥) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

(٢٦) إنني مدين بشكل أساسي في تقسيمي لهذه الطوائف من الآيات إلى العلامة جوادي آملي في كتابه «الفطرة في القرآن»، المجلد ١١ من تفسيره الموضوعي، ص ٧٧-٢٨٦.

(٢٧) سورة الحجرات: الآية ٧.
(٢٨) سورة البقرة: الآية ١٦٥.
(٢٩) بحار الأنوار، ج٣، ص ٢٨١.
(٣٠) سورة سبأ: الآية ٢٨.
(٣١) سورة المدَّثر: الآية ٣١.
(٣٢) سورة المدَّثر: الآية ٣٦.
(٣٣) سورة يوسف: الآية ١٠٤.